إغفاءةٌ صفراء

فاطمة شعبان

الكتاب : إغفاءةٌ صفراء (رواية)
المؤلف : فاطمة شعبان
الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٣
رقم الإيداع : ٢٠١٢/٢٩١٠٢
الترقيم الدولي : I.S.B.N 978 - 977 - 493 - 118- 5

الناشر
شمس للنشر والإعلام
٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى- المقطم- القاهرة
ت/فاكس: ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤ (+٢) / ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (+٢)
www.shams-group.net

تصميم الغلاف : ياسمين عكاشة

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

شمس
للنشر والإعلام

إغفاءةٌ صفراء

رواية

فاطمة شعبان

إهــداء

إلى من شارك في اختيار العنوان عبر صفحتي بالفيسبوك
facebook

وتابعني عبر موقعي الإلكتروني أو من خلال إصداراتي.

إلى القارئ الذي أهداني وقته ، أهديه إصداري الجديد.

فاطمة

قَبل البدء

أيها القمر!

الآنَ وقد أظلمَ الليلُ وبدأتْ النجومُ تنضخ وجه الطبيعة التي أعْيَتْ من طولِ ما انبعثت في النهار- برشاشٍ من النور النديِّ يتحدر قطرات دقيقة منتشرة كأنها أنفاسٌ تتثاءب بها الأمواج المستيقظة في بحر النسيان..

"الرافعي"

حديث القمر

(١)

كان يحاكيك في ضحكاته وفي نزق الطفولة التي تسكنك وتسكنه..

وكأنك هو، وكأنه أنت !.. رغم الفواصل الزمنية التي لا يمكنها الالتقاء !..

فهو بلحم جسده وعظم أضلاعه وابتسامته التي تسكن روحه المتألقة بين أطفاله، يلاعبهم فوق بساط أبيض من الثلوج فيحتضن هذا ويدغدغ ذاك ويلقي على الثالث كرات صوفية منسوجة ببلورات من الثلج فيحيل الأجواء إلى مرح وسرور.

وأنت.. أنت بروحك المرفوعة إلى عنان السماء..

في هذا المكان... كان فيه أخر مطافك قبل استقرارك هنـــــاك.. هنـــــــاك... هنـــــــــــــاك.

عكفتُ أناجي روحك وأبحث عنها هنا.. علها تهفو إليَّ مع ذرات الثلج وهي تستقر على أعتابنا بردًا وسلامًا.. إلى جنبات الحرم المقدس قدمتَ لاجئًا.. بعد رفض البشر لجوئك!.. احتضنوك؛ تعلقوا بأهداب عينيك... مسحتَ بأطراف أناملك دمعهم الهتون، ووعدتهم أنك لا محال عائد إليهم كي تجوب بهم الأرض والسماء، وتناجي رمال الصحراء حدَّ الاصفرار.. على طول البلاد وعرضها..

انتظروك قبل ذلك وأنت ذاهب إلى بلاد الدنيا لتجد دواءً لعلتك.. خرجت من المشفى والابتسامة تملأ محياك عندما بشَّرك الطبيب وكانت البشارة مغلفة بجزء من الأمل.. أملٌ.... كاذب، أو بقايا أمل.. كي تبقى تلك اللحظات فقط لأجلهم، فدبَّ النشاط في أعضائك وكأنك لست أنت!.. فرغم عدم حقيقة ما بُشرت به فإنك أخضعت إدراكك على الاستجابة لترى النتائج ماثلة أمامك عبر نشاطك الذي دبَّ فيك، فقبلها

بسويعات كنت لا تقوى على المسير.. أما الآن؛ ها أنت تسابق الريح.. إن الشعور بالصحة يخلق الصحة..

قلت : هل المجمعات التجارية قريبة من هنا ؟ أريد شراء بعض الهدايا !..

– أجل.. ولكن عما تبحث ؟

– دمية لذات الأعوام الأربعة.. طالما حلمتْ بها !..

وحينما وصلتَ؛ بهرتك الواجهات الزجاجية وهي تعرض ما أنتجته المصانع الشرقية والغربية.. سألتَ البائع، ورغم ارتفاع سعرها إلا أنك أصررت على شرائها !.. وقلت هي لأخر عناقيدي لِمَ لا ؟!.. سنداعبها معًا فتوقظ طفولتي ليتفجر نبع الأمومة من عينيها فأغدو بين ساعديها كطفلٍ صغير أستسلم لها.. لتمنحني الدفء والحنان !.

ولكنك... ولكنك أغرقت صغيرتك بالصمت وهي تتطلع إليك، وتحمل دميتها بين يديها.. تبحث عنك كي تلاعبك.. وتلاعبها...

أين أنت ؟!... غادرها دون أن تطبع قبلة على رأسها !..

وأنا حيث أنا؛ اختلس النظر إلى ظله.. باحثة عن ظلك في فراغ الأفق... واخترقني سؤالٌ بريء :

– متى ستداعب صغارك كما يفعل هو أمام ناظري... ؟

أتأمله وأرى هالة روحك وقد طوقته، وطفولتك التي تسكنك كما تسكنه.. رغم أبوتك الحنونة التي قد استحضرت.

– أواه...

قلتها وأنا أحبس دمعي فيعصِر أحشائي فلا أجد بُدًا من إطلاقها كي تختلط مع رذاذ الثلج الذي ملأ وجنتي.. وأنا أحسب خطواتك من هنا إلى الحرم المقدس.. وأنت لست أنت.. بل بقايا أنت !.. ها أنت تصل إلى أخر مطافك.. أما هي تجر خلفك أذيال عمرها.. وساعات حبها.. ولحظات قربها منك.. وكأنك لن تفارقها، وكأنها لم تحسب حساب ذلك اليوم الذي ستخطف منها دون استئذان... ترافقك لأنها تعلم أنها لابد أن ترافق مسيرة

حبها !.. ترافقك لتكون هي من يختم على غروب الأحلام !..

ولكن هل ستسمح لأحلامكما بالغروب ؟!.. تعلم أنها ستختصرها حدَّ الاختناق.. لكن !... فليكن، لعل شروق فجرها الملبد بالسحب هو أخر ما تبقى لها..

تذكرت في أول ليلتها.. وقد همهمت الأرواح الهائمة حولها مع انحسار الضوء، وسرى الوجود ليذيب بدفء مشاعره ظلمات الكرى وأنت وقد أحطتَ بها مطوقًا أنوثتها وهي تحلق بين هدوئك وصرامتك؛ ليمتلئ ذاك الفراغ الذي بات ليس بفراغ !.. أدركتْ حينها بفطنتها أن أحاسيسك تحمل لها الكثير..

قالت : يغمرني إحساس بالرهبة من عينيك !..

مددت يدك باسمًا لتنتشلها من نفسها إلى أنفاسك المتلاحقة، جذبتها بكل ثقة وقلت: ذاك أول الطريق !..

أرادت القول، إلا إنك أغرقتها بهمسٍ مجنون.. ليغمرها إحساسٌ لذيذٌ باتساع السماء...

(٢)

هالة من الابتسامة غمرتها وهي تتابع طيفك خلف غيمة رمادية وأنت.. تحملك العجلات الأربعة وتلاحقك هي ببشرتها البيضاء المشوبة بلونٍ وردي على أطراف الخد وقامتها المعتدلة وجسدها الذي امتلأْ عنفوانًا... وغدا الآن أقرب إلى الذبول !.. وأنت تحسب خطواتها لتزداد طمأنينة أنها ما زالت تحتويك، ولم تتخلَ عنك.

تذكرت!.. ذات صباحٍ ندي، وتحت ظلال شجرة اللبلاب المتفرعة؛ والمتسلقة.. وقفتما حين لم تجدا لكما مقعدًا، فاكتفيتما أن تتلاصقا بجذعها وتتخذاها مسندًا، وأعشاش البلابل تحرسكما .. قطعتما عهدًا !...

قالت؛ وأنت تحتويها وهي تحدق بفراغ السماء :

– سيغدو حبنا جسرًا إلى عالم الخلود، ولكن هل إلى ذلك من سبيل ؟

– وفراخنا التي سيهبنا المولى.. من هم؟

فابتسمتْ بارتياح واختارت أن تكون هي قبلك..

وأبديت إصرارًا أنك ستكون قيسها لتفديها بروحك كي تبقى هي !..

– فالأولاد بحاجة إلى الأم أكثر من الأب.. لأن الآباء أغلبهم يبحثون عن الأنثى فيأتون بها لتحاول أن تمارس دور الأم، ولكن هل تستطيع؟!..

قالت غاضبة:

– وهل أنت من أولئك؟..

قلتَ لها وأنت تحاول الفوز بامتلاء العينين كي تسكنها إلى فؤادك وتطير بها نحو البعيد :

– وما رأيكِ أنتِ؟

قالت بعد لحظة صمت:

– لا تقسو عليَّ !.. فالوفاء خصلة حميدة ليس كل الرجال أهلاً لها... أظن أن ضياء طريقنا يجعلك من أولئك القلة..

(٣)

ها هي تسوقك قبل أن تسوقها - كما كنتَ ترجو - وتجر خطواها خلف بقاياك وأنت على مقعدك المتحرك قبل أن تجر أنت خلفها تلك الخطوات... تحسبهم رغم قرب المسافة تجدها بعد المشرقين.. تريدها إلى قربك كما كنتما.. تتأبط ذراعك وتسير بها فوق تلال مدينة خضراء بين البساتين الوارفة تحوط بكما أزهار البنفسج والقرنفل.. قالت وقد انشرحت أساريرها وارتسم البِشرُ على محياكَ :

– هل أنتَ سعيد ؟

– أكاد أحلق من فرط السعادة.

– إذًا فلنحلق .. انظر أترى ؟

رفعتَ رأسكَ فإذا بعربة تسير فوق سلك رفيع ؟..

أخذتَ تقفز في الهواء بنَزقِ الطفولة وهي تنظر إليك.. سحبتها إليك وحلقتما معًا باتساع الأفق..

ما زالت العربة تدفعها... لتتدافع معها سيل الأحداث..
تقدَّم نحوها أحد المساكين وقد بُتِرت إحدى ساقيه..
أخرجتْ له من حقيبتها مبلغًا ووضعته في يده.. ابتعد وهو يردد عبارات دعاء لا يتقنها غيره..

رفعتَ رأسك نحوها، فابتسمتْ لك وقد أخفت ما تكور من دمعها، وهي تربت على كتفك بحنان.. ليتك تدرك أنك قادر على تغيير حقيقة ما ينتابك إلى واقع جميل بتغذية إدراكك بذلك.. ولكن بعد أن تغتسل من خطيئتك !..

(٤)

ها قد بدأتْ رحلة التحليق..

قلتَ وأنت تنظر نحو العربة الصغيرة :

– إنها كصندوق التخزين ليست مناسبة !.. انظري هناك.. ما رأيكِ أن نأخذ هذه العربة المكشوفة ؟..

وأشرت جهة اليمين.

نظرتْ نظرةً وشهقتْ.. وأرادت الابتعاد.

– لا تخافي، هيا بنا.. سنحلق كأجمل طائرين أُطلقا لتوهما من السجن.

– بسم الله... قل أعوذ برب الفلق...

– ما بكِ ؟... لا تخافي ما دمتِ معي.

وأحطتها بذراعيك.

أخذتَ تصرخ في الفضاء المتناهي يردد صدى صرختك الجبال والوادي.. ولكن ماذا قلت في تلك الصرخة ؟..

ضحكتْ بكل كيانها.. وقالت :

– أعلم بحبك، ولكن لا تكن مجنونًا !..

– بل أنا مجنـــون.....

انحنيتَ لتتابع مسار الوادي كان يجري كخيط متناهي الصغر.. تطلعتَ إليه..

صرختْ وقد أغمضتْ جفنيها بصراخ مكتوم..

– لا.. لا تنحني أرجوك.

– هل تخافين عليَّ ؟

ابتسمتْ.. وأنت تنظر إليها بملء عينيها فتاهت الأفكار وغردت البلابل في أجواء المساء لتراقص أشعة الشمس رقصة المغيب.

هي والعربة وأنت... أمام الحرم.. تتأملك.. ها قد وصلنا فتغالب جفونك وتغور عيناك في الوجود.. فتتذكر.. كنتَ في أم الدنيا وأخبرك السائق:

– هذا الطريق يقود إلى الحسين..

فتساءلتْ:

- الحسين.. إنه في العراق.

- بل هنا له مرقد، هل تزوره؟

فتحججتَ وأنت لا تجد بين جنباتك مقامًا لذلك.. جئتَ إلى أم الدنيا لتعبئ نفسك من لذاتها.. تعانق الفسيفساء المتلألئة وقد ارتسم فوقها نبضك وأنت امتلأت حياة وعنفوانًا.. تطارد الدنيا أم تطاردك!.. تتهافت خلف مجهولها دون خوف.

(٥)

توصيك أمك بالصلاة والصيام فتلثم يديها وتبتسم وهي تسر إليك بوصيتها: " بُنَي لا تتخلَّ عنهما مدى الحياة " ثم تضمك إلى حناها بعفوية... بعدها قذفك القدر بأول أحداثه وكان ذاك أول تواطيء منه.. رحلت أمك !.. تصغي لترنيمتها القدسية كل مساء.. حين يغالبك الكرى فتنهض على همسها سارحًا في ملكوتها.. وهي لم تزل تضمك إلى حناها وأصابعها تعبث بشعرك الكستنائي.. كانت تقول لك دائمًا: " أخذتَ مني الكثير أيها الحبيب.. تبارك الرحمن ".. أرادتك ملاكًا ولكنك همت عن الدرب !.. وأنت تبكي وكأنك بين أحضانها طفلٌ صغيرٌ لم يبلغ الحلم.. لقد أعطتك الحياة امتيازًا مؤلمًا..

ها أنت تقوم لتختم يومك بركعات تؤديها دفعة واحدة كطقوس مجردة.. لترتحل في كل صلاة نحو لهوٍ قد أثبت فيه جدارتك، في صيدٍ ثمل نالك منه ابتسامة ساحرة وغمزة عين تصب في جسدك النشوة حدَّ الإغراق !.. لتكتشف جنون الحكايات التي تمارس في الخفاء.. فعشت لحظاتك تلك في نسيج العاشق الهائم على وجهه لا يُلقي للعالم بالاً.. وإذا أنت في ليلتك تلك بطل المغامرات !.. تشتهيك كل أنثى تروي جذورها همسك؛ وأحيانًا بمائك !... تهذي في أروقتك عشقًا.. فتكشف لها الليالي سراب ذلك.... هنا في هذه البقعة... تبتغي اختصار سنييك ومسح أوجاعك، فسواد الفيلم قبل التحميض يلاحقك..

ارتفع نشيجي وهمل دمعي وأنا أراقبها... وهي تخيط أكفانك بأشفار أحداقها وبفيض دمعها تلثمها وتقبلها ثم تمسحها على المرقد الشريف تناجي صاحب المرقد همس أما أنت فتناجيه بصمت !..

تسافر إلى أين؟

لا تدري..!

تحط رحالك في كل بلد... تستسلم لنَزوة جديدة فإذا بها خيبة... تبَرِّر لنفسك الضياع!.. تبحث عن ذاتك المحمومة في بلاد الدنيا.. تحتضن تلك، وتطرق بوابة قلب أخرى، وتلتقط الصور مع الثالثة..! أذكر جيدًا حين ذهبت إلى ذاك المنْزل الـــ.... أطلبك.. لم تكن أنوثتي قد أثمرت بعد! إلا أنني لم أنس طرقي على الباب، وقد أخرج الباب من جوفه أحدهم ثملاً.. أحمرت عيناه.. تفوح رجولته رغبة إلى الأنثى أيًا كانت.. تراجعتُ خوفًا، كدتُ أسقط وأنا أداري عتبة السلم.. ثم ظهرتَ أنت، وقلتُ لك: أبي يطلبك.. تلعثمتَ وأمرتني بالرحيل من هناك... وأنت تداري عفونتك تلك..

تساءلتَ في أحدى الأمسيات حين أردتَ أن تكون مع نفسك تشاطرك نجيمات المساء.. لتسر إليها :

"لِمَ كل هذا الجنون ؟

لِمَ أمارس حماقات تهبني الوجع بعدد أنفاس النشوة ؟!..

لحظات من السعادة الملونة ذهبت عني وتركتني بين تبعاتها.. كنتُ في كل ذلك أبحث عمن يصالحني مع ذاتي !..

أبحث عن ذاتي في ذاتي !.. "

سؤال غربته أكبر..

بحثتَ عنه طويلاً بين أحضان والديك..

لم يستطيعا أن يهباك منه إلا عندما كنت رضيعًا، اكتفيا أن يشبعاكَ قُبلاً ولثمًا، فإذا اشتد عودك لم يعد مكان لتجربة الحب..

كنتَ تعتقد أنك ستجدها.. ستخرج إليك عبر بوابة ستفتح أمام ناظريك لتهب لك الدنيا !..

لِمَ لا ؟!... فالدنيا كلها بين يديها..

ولكنك لم تصل إلى مبتغاك في تلك المغامرة...

فعضضت أصابع الحسرة والندامة وتجرعت ويلات الأسى واختليت بنفسك شهورًا وشهورًا تائهًا بين نفسك التي أذاقتك كؤوس النشوة، ولم تستطع أن تهبك شيئًا من السعادة..

(٦)

نهار ذاك الخريف.. تأملتَ الأمواج الهادئة وهي تعقد معاهدة سلام مع السماء... كان يجلس إلى جانبك...

قال حانقًا :

– الوضع غدا سيئًا..

– ماذا تعني ؟

– الدكان لم يعد يحقق أرباحًا كالسابق.

– لا بد أن يكون هناك سبب !..

– ومن قال غير ذلك ؟!..

رماك بنظرة فيها الكثير مما لا تعلم تفسيره.. تابع :

– العالم يتخبط في أتون الحرب، وأنت لاهٍ في نزواتك.. حاملات الطائرات تحط كل يوم لتضع حمولتها استعدادًا لكابوس مرعب.. والقواعد العسكرية تعج بالسلاح الثقيل.. العملات النقدية في انحدار.. والمصانع توقفت

عن العمل.. فقط مصانع الأسلحة تعمل ليلاً ونهارًا وما زالت عاجزة عن تلبية جشع المنتفعين..

أطرقت برأسك وسؤالٌ مكتومٌ داخلك يستنكر الحديث، لتقول:

- ماذا عليَّ فعله؟

تنهد بأسى وأرسل زفرة: كانت رحمها الله تساندني في محنِي.. تركتني ورحلت عني!..

ظللتَ تحدق في اللاشيء..وأحسست أنه انتقل إلى وسط الدار حيث دفء شمس الصباح وهي تدغدغ بنورها أجفانه مع دفء راحتها وهي توقظه باتساع ابتسامتها.

أردت أن تقول شيئًا إلا أن الصمت أفضل خيمة تحتوي نشيج تلك اللحظات:

- أبي، ماذا عليَّ فعله؟.. قل فأنا....

عاد من صمته.. وقاطعك قائلاً..

- لقد تحدثتُ إلى ابن عمي ولم يمانع أن تعمل معه. سأغادر إلى الخليج.

– أعمل؟!.. والدراسة والوظيفة التي أحلم بها..

– أدعو الله أن تكون أزمة وتنجلي... استمع إلي جيدًا.. لقد أخبرني الحاج سليمان أن الفرص هناك أكبر، سأجرب حظي، ستكون أنت رجل البيت.. هل تفهمني؟.. أخوتك في رقبتك..

أطرقتَ وأنت لا تجد جوابًا.. اكتفيت بقول: إن شاء الله.

وغادرك أبوك..

....

وبدأتَ العمل.. فوجدت المتعة، والرضا من ابن عم أبيك. وقررت بينك وبين نفسك أنك لن تعود إلى مقاعد الدرس.. قلت: هل لها داع؟!..

ها أنت تعود من عملك... وكسيد قومه تسير يتبعك "حمالٌ" وهو يحمل خلفك أكياس المؤنة... تتقدمه أنت لتشق له الطريق وسط أزقة الحارة تردد " يا الله " كما يفعل أبوك.. لتتوارى النساء خلف الأبواب والفتيات

خلف الشبابيك، وقد أتقنت دور والدك... يتقدمك عطرٌ رائحته عُجنت برطوبة مخازن المؤنة وملوحة جسدك المنهك... فتحتْ لك الحياة نافذة أخرى غير تلك التي كنت تمارس من خلالها نزقك، فلم يعد لك متسعٌ لذاك الجنون.. بدأت تبحث عن صنو روحك، تسر إلى نفسك بألم دامع وأنت لا تدري أين ستأخذك تلك الغواية..

أخذت قرارك؛ ويا له من قرار.. رميت بعهدك السالف..

وفي أحدى الأزقة .. وأنت تلاعب أشباح الليل على ضوء الفوانيس المعلقة فتكون بحجم عمالقة خرافية.. رأيتها !.. واختفت بسرعة بعد أن رمتك بنصف ابتسامة.. تبعتَ ظلها الذي كبُر أمامك، وظل وقع أقدامها يناغم دقات قلبك، ولهاثها يصل إلى مسامعك.. أخذتك كلك من نفسك !.. نزعتْ قلبك من أضلاعك وحملته معها حيث تشاء !..

كنتَ تنتظرها كل مساء في ذات المكان، وهي لم تخيب ظنك كطيف تمر لترميك بنصف ابتسامتها تلك، فتبادلها بغمزة من غمزاتك التي تتقنها دون أن تعلم هي عراقتك في هذا المضمار.. لتختلي بعدها هي إلى رفيقاتها فتسر إليهن خلجات أنثى افتتن بأنوثتها رجلٌ ما !.. لتسبح في بحر عينيك وكانت قد فسرت أولى رسائلك.. فتحتضن ابتسامتها تلك كلما لفك فراش بارد تبحث الدفء في عينيها.. لقد أنستك كل نزواتك وأخذتك إلى عالم من الصفاء والنقاوة.

وكأي ذكر.. كان يبحث أبدًا عن أنثى لم تُلمس، بل تكون أنت أول من يزيل قشرها ويسقيها من عذب مائه.

(٧)

هبَّت واقفة وقد أعدَّت لك كأسًا من الماء المقروء تسقيك.. وأنت وقد تعب جسدك من مقعد الكرسي تتأوه... وأهات الحشى أشد وأمَّر.. تؤلمك من تراكم الخطايا وأنت تعاود عرض أفلامك المسودة...

دمعت عيناك وبدا نشيجك خافتًا.. صوتك الذي فقدته منذ أيام لم يعد يشفعك.. محاولاتك أن تقول شيئًا لم تنفعك.. قواك الخاوية حالت بينك وبين الدعاء بصوتٍ مسموع..

خاطبتك كطفل وهي تغالب الأسى : قل يا رب.

فنظرتَ إليها وعيناك قد غالبها الدمع فاتحًا يديك وأنت لا تقوى على رفعهما تقول: يا رب.. تلك اليدان اللتان طالما غازلت خصلات شعرها الفاحم لاثمًا نهايات كل خصلة متأملاً ابتسامتها الخجلى وهي تدغدغ مشاعرك.. تلاعب أصابعك شحمة أذنها فيعزف قلبيكما سيمفونية

المُحبين.. كانت تبادلك الذكرى وأنت ما زلتَ تناجيها سرًا..

ظلتْ أمك - رحمها الله - تطرق باب قلبك بأسماء وألقاب يكون لك الفخر باقترانك بهن، إلا أنك أوصدت جميع الأبواب.. وظل بابها مشرعًا ينتظر طرقًا منك..

قلتَ : هي.. هي، لن تكون إلا هي.

وفي أمسية يغيب القمر في رحلة الاكتمال قد اخترتها بعناية؛ واعدتها عند زقاقٍ كان يقال عنه مسكونًا بالعفاريت والأشباح، لتكون لك.. وأنت البحر تداعب بموجك أقدامها دون أقدام الشاطئ فتتدفق رجولة.. هكذا أعددت نفسك !.. وقفتَ تعد الثواني وتتلفت... مرَّ من الزمن ربع ساعة لم تحضر.. لديك الكثير لتقول لها إنها فرصتك الأولى قبل أن تُطفأ الفوانيس فتغدو الحارة مدينة الأشباح فعلاً.. وقبل أن يأخذك الأسى رأيت ظلها يقترب رويدًا رويدًا.. وبنصف ابتسامتها

تلك رمتك، فبادلتها وقلت : لقد أوقعتِ قلبي بين أقدامي، ظننتُ أنكِ لن تأتي.. قالت: لم يكن سهلاً عليَّ الخروج، لا بد من مراوغة الأهل.. لا أستطيع التأخر أرجو أن يسامحني ربي..

– وهل تبخلين علي بدقائق كي أتزود منكِ..

مواء القطط أوحى إليها أن أشباح الزقاق بدأت بوليمتها فدبَّ الهلع في قلبها.. مددتَ يدك لتهدئ من روعها :

– لا تخافي، طالما أنتِ معي فلن ينالك مكروه..

فسرت رعشة في جسدها.. هي الأولى في أنوثتها تلامس راحتيها كف رجل.. سحبتها وهي بين خوفٍ ورجاء، قلتَ لها : لن أستطيع الانتظار طويلاً وأنا جادٌ في مسعاي فأنتِ قد ملكتِ كل كياني.

قالت وقد أطلقت ابتسامتها بأكملها وأحنت رأسها محاولة إخفائها : إلى هذا الحد..

وبفطنة الأنثى قدرت حجم جمالها..

قلت : وأكثر من هذا.. أنت لي ولن تكوني لغيري.

وفي شعاع خفي تسرب ضوء القمر إلى عينيها فقرأهما

قالت : ولكنني لا أعرفك جيدًا !..

قلت : هل تتقنين لغة العيون ؟

قالت : أقرأ في عينيك تمردًا وصلابة..

– ألم تجدي حبًا ملائمًا ؟

ابتسمتْ خجلاً ورمت بناظريها إلى الأسفل..

لامستَ ذقنها برقة متناهية وأنت تشتري دلالها..

قالت : ابعد يدك أرجوك، هذا لا يجوز ..

قلت : ستصبحين زوجتي.. ستصبحين حليلتي..

قالت وقد سحبت نفسها : لتكن زيارة أهلك.

واختفت...

تتبعتها وأنت تناديها لأول مرة باسمها :ياسمين.. ياسمين.. فكانت ياسمينة قلبك، وكان لحنًا عذبا رقراقًا... التفتت.. قلت : لا تذهبي بمفردك، أرجوك اتبعيني.. المكان مظلم أخاف عليكِ من الحمقى.

(٨)

الجمعة.. لقاء الأصدقاء.. مزرعة التاجر غريب التي كانت تجمعك مع ابنه صداقة قديمة على مقاعد الدرس.. كلاكما هجرها مع فارق واحد؛ أنت على عوزك وضيق يد أسرتك وهو على غناه وبطره...

السهرة تبدأ بالمزارع على ضوء الفوانيس بعد تعب الماكينات التي تمد المكان بالإنارة.. وأجواء ليالي الصيف القمرية تعطي للمكان بعض الشفافية..

قال لك وهو يراقب تأملك : ما الذي يشغل بالك ؟

التفتَ إليه وأنت تظهر استغرابًا : لاشيء... لا شيء..

– بل هناك أشياء، هل تخفي عني ؟

– لقد قررت أن أبدأ مسارًا أخر غير الذي اعتدت من قبل.

– ماذا تعني ؟

– لا أدري ماذا أقول ولكنني قررت.. قررت أن أكمل نصف ديني.

قال ضاحكًا وقد هبَّ واقفًا وجسده يهتز برقصة هادئة وتعلوا يداه بصفقة متناغمة :

– ألف مبروك يا صديقي، وهل هذا القرار يحتاج إلى كل هذا الوجوم؟!

– أجل، ولكن أنت تعلم أن أبي قد حمَّلني مسئولية كبرى، فكيف أجمع بينهما ؟ وهل أقدم على ذلك دون وجود أبي ؟

– انتظر يا أخي ريثما يرجع والدك، لِمَ العجلة ؟ دعنا نستمتع بأوقاتنا قبل تقيدك... اسمع سيكون لقاؤنا هذا قائمًا، لا تتحجج بعد الزواج، ستكون برفقتنا في الأسبوع القادم إناث.. إهن صورة ملاك بأجساد بشر.

قلتَ وكأنك صُعقت :

– ماذا ؟!!

- لا تستغرب.. إنها أختي وصاحباتها، سيأخذن ركنًا بعيدًا عنا ولكن ربما تكون لنا نظرة أو لمسة هل سترفضها ؟!

قلتَ حانقًا :

- لقد قلتُ لك إني قررتُ الزواج.. حاول أن تفهمني، أريد التخلص من العار الذي تلبسني منذ سنين.

- تزوج يا أخي، ها هو أبي متزوج ولكن يفعل ما يريد..

قلتَ متنهدًا :

- سنرى.. لكل حادث حديث.

واكتمل الجمع بعد منتصف الليل، وبدأ اللعب، واهتزت الأجساد على أنغام الطرب الهندي، وكان ما كان... إلا أنك اختليت بنفسك بعد ليلة حمراء لم تكن أنت بطلها هذه المرة، لقد خطوت خطوة نحو فراغ أنت من سيملؤه بمحض اختيارك... فقد أوقفتَ الشراب منذ هذه الساعة؛ وإن كنتَ تُوحي لهم أنك تشاركهم

فكانت قهقهاهم الثملة كفيلة أن تداريك وأنت تلقي بقايا شرابك في كأس أحدهم كي لا يشعروا بتركك للشراب خجلاً من الجو الذي يحيط بك..

ومع إشراقة شمس يوم جديد استيقظت، فكانت الأجساد ملقاة هنا وهناك بأوضاع أخجلتك.. قلتَ مخاطبًا نفسك : هل هكذا يكون حالي إن كنتُ ثملاً ؟!.. كأني أرى أمامي أجساد هيمة أهت طقوسها بعربدة متناهية فإذا شبعت وأشبعت تلقي بثقلها أين شاءت.. لا ولكن البهيمة تواري سوءها أما نحن.. ماذا أرى أمامي إن سوءة كل واحد تبدو للعيان، يا إلهي هل كنت كهؤلاء ؟!...

تذكرتَ عندما كنت بطل إحدى تلك القصص كيف كنت تختلي بواحدة من صويحبات صاحبك.. بعد أن يأخذ الشراب منك مأخذًا وأنت تترنح وهي بانتظارك لم تُكمل العشرين من عمرها خرجت من وسط أهلها بحجة المبيت مع بنت التاجر الكبير وفي مزرعة التاجر

الكبير وبرعاية وحراسة ابن التاجر الكبير الذي هو بمثابة الأخ !.. ذاك هو صاحبك.. الذي استأمنه أهالي الفتيات ليؤدي الأمانة كما يريد هو ويحقق من خلالهم ما يشاء هو، فيختار إحداهن وتكون ذات حظ عظيم لأنها خليلة ابن التاجر الكبير، أما أنت فتأخذ نصيبك وتحرص أن تكون هي في كل مرة لا ترضى بغيرها.. يا لها من مسكينة أشبعتها وعودًا وبنيتَ معها قصورًا وعندما قطفتَ ثمرها انهارت سائر تلك القصور لتدرك هي أنها لم تعد تصلح أن ترتدي ثوبًا أبيضَ وتضع يدها بيد من يريدها لتلك الثمرة... كانت غضة طرية، وكنتَ فحلاً متمرسًا.. كان المكان الذي يجمعكما حول حوض السباحة وإن كان الظلام يلف المكان إلا أنك كنت تجد متعتك معها دون اكتراث بالآخرين؛ فكل واحد لديه ما يشغله.

ها أنت تدفع ثمن ذلك.. وهناك ثمن آخر ستدفعه لاحقًا.. فقد أوجدك خالقك لتحمل رسالة السماء أنت.. أنت كإنسان بعد أن أبت السماء والأرض والجبال.. عن حملها ولكنك حملت عوضًا عنه رسالة الشيـــ... ـــطان.. لقد أسديت إليه خدماتك دون مقابل.. لا تقل إنه أغواك.. ولا تسقط جحيمك على وجوده.. لقد تبرأ منك ومن غيرك قبل أن تُخلق !..

(٩)

ما زلتَ على مقعدك..

ركنتك جانبًا وتوجهت بركعات نحو ربها تناجي خالقها ترجوه أن يصب عليك ماء طهور ليخلصك من أنجاسها...

(إلهي.. وكأني بنفسي واقفة بين يديك وقد أظلها حسن توكلي عليك.. إلهي، إن عفوت فمن أولى منك بذلك، وإن كان قد دنا أجلي ولم يدنني منك عملي فقد جعلت الإقرار بالذنب إليك وسيلتي.. إلهي، قد جُرتُ على نفسي في النظر لها فلها الويل إن لم تغفر لها..)

في دعائك وتضرعك وصلاتك كنت تبني جسدًا آخرَ جديدًا غير ذاك الذي أبلاه المرض، فدعاؤك يسترخي عقلك لينقل مطالبك نحو إدراكك الباطن ليبدأ بالعمل.. ولكن بعد تسديدك لفواتير آثامك..

لقد أطلعتها على كل ما مررت به من مغامرات، كانت على علم بكل ما أقدمتَ عليه.. لم ترض الاقتران بك إلا بعد حصولها على تقرير مفصل عن حياتك، ووعودًا بأن تكون لها فقط.. لذا ترى الإخلاص يقطر من عينيها، والحب يسمو بين ضلوعها وهي تبتهل وتدعو أن تكملا المشوار معًا وأن تكون تلك الرحلة نهاية حياة الخسران والانتقال لحياة التقوى والإيمان.. وتكون ضريبة فجورك سنواتك العشر التي صارعت فيها مرضك..

فهل لها ما أرادت؟..

غفت "ياسمينتك" على أمانيها في نفس تلك الليلة، فكان حلمًا أهدته السماء إليها هي فقط دون أحدٍ يشاركها.. شاهدتك في روضة غناءه تسير ووجهك يقطر إشراقًا وفرحًا تسير حيث البساط الأخضر يمتد أمامك إلى ما لا نهاية.. وكلما تقدمتَ إلى الأمام بزغت شموسٌ وأقمارٌ لتملأ وجهك إشراقًا !.. كنتَ تسير وأنت تحمل بين يديك باقة ورد وحولك غدير ماء ينساب برقة ونعومة،

لوحدك تسير بمفردك تمشي على قدميك.. لا تحملك العجلات الأربع.. وابتسامتك المشرقة بالتماع أسنانك التي أخفاها الذبول والتي لم تعد تراها منذ ذلك المساء الأليم حين ساق إليها أخوك الخبر المشئوم، إنه مصاب بـــ......، فقامت نواحها ومنذ ذلك المساء ودمعها لا يكف عن الجريان، أما الآن إنها ترى تلك الابتسامة أكثر إشراقًا من ذي قبل... ولكنك تحمل وردًا.. ترى لمن الورد..

تتأملك ولكنك تسير وتسير دون أن تلتفت إلى أحد... تنادي.. وتنادي.. وكان السراب وكان تفسير الحلم..

حلم آخر..

قال عمي : بعد صلاة الفجر وفي سجدة العبد للمولى شكرًا وتفضلاً .. جاءه النداء.. في إغفاءة قصيرة.. لقد تحقق المراد .. فكان ذلك تفسيرًا للحلم...

وانتشت العائلة..

وقالت : الحمد لله لم يخيبنا ربنا.. ها هو الحلم، وهو رسول السماء يرسل لنا نذير الخير.

غالبت دموعها وهي تقول بكل ثقة إنه استجيب الدعاء.. فهل هو ذاك ؟!..

(١٠)

عاد أبوك من الخليج محملاً بعطر امرأة.. يتبعها ولا تتبعه.. قلت ليته يفكر بإهداء كل واحد ممن جاء من عقبه؛ زوج أو زوجة.. إلا أنه هكذا منذ كانت أمي تسكنه الأنا.. كانت قد تعلمت أن تؤثر رأيه على رأيها.. كي تستقيم الحياة دون نغص أو نكد.

أما تلك فلن تستقيم الأمور لديها إلا بقلب الموازين..

كانت امرأة قوية تدير دفة البيت بمغالاة.. تدعى "سودة" إلا أنها تشرق بياضًا، قيل سُميت بذلك خوفًا عليها من العين والحسد.. كان أبي يناديها "حسناء" هكذا تعلم من الخليج كيف يغنج امرأته..

كانت أمي تبتسم له فيردها شزرًا.. وهو يقولها لنفسه: الرجال لا يبتسمون لزوجاتهم..

بنى لها بيتًا، أما أمي فقد بنت له من ضلوعها سكنًا وهو لم يكترث لذلك السكن فأهداها غرفتين متهالكتين في زمن كانت اللقمة تؤخذ أخذًا لتدفع أمي ثمن صبرها حياتها..

لم يثنِ على صبرها إلا بعد رحيلها.. كما يُفعل بالعظماء.. حين تُنصب لهم الأنصبة وتقام على شرفهم حفلات تكريم بعد رحيلهم.

في جلسة جمعتنا مع عمتي؛ وهي تحتج على والدي إقدامه على الزواج من خارج البلاد.. غردت بحوادث لم نكن قد سمعنا بها من قبل..

قالت وهي تستذكر أمي -رحمها الله- :

- لقد كانت إنسانة قلَّ نظيرها في الحياة ولا أظن أنك كنت مستحقًا لظفرها !.. أتعلم لماذا يا أخي ؟ لأنها عانت معك الأمرين.. بعد أن كانت قد عانت في شبابها، وتجرعت الفقر مع والديها.

جحظت عيناك وأنت تتابع الحديث كما تجحظ الآن تورمًا... والتفتت عمتي نحوي ونحوك وهي تقول :

– لقد عملتْ بيديها في طبخ الأطعمة وبيعها لتعين أبويها على نفقات الحياة وتربية إخوهما الصغار.. وبعد وفاة جدكما كانت تتفانى من أجل خدمة أمها المسنة التي لا تقوى على السير لتحملها على ظهرها وتنقلها من مكان إلى آخر في زمن لم تتواجد وسائل الراحة.. رحمة الله عليها هل هذا جزاؤها ؟!..

ردَّ عليها أبي :

وماذا تريديني أن أفعل ، أقيم العزاء على فراقها مدى الحياة ؟!..

ردَّتْ عمتي مفحمةً أبي :

– لم أقل ذلك.. وإن فعلتَ ذلك فذاك أقل ما تهبها بعد وفاها، ولكن تزوج من ترفع بها رأسك ورأس أسرتك.. ليست التي أحضرتها على رؤوس أبنائك تتنمر على الجميع ولا تقيم لأحدٍ وزنًا.. وما هو دورك أنت غير أن تبتلع لسانك وتسلمها القياد ؟!.

لقد خطط أبي لحياة أخرى غير التي كنا نعيشها سابقًا.. المرارة والعوز كانا من نصيب أمي، أما هي فلها القصور والدلال!.. أرزاق تساق إلى كل ابن أدم ليُبتلى ويُختبر.. وكان تكريم أمي أن تُرفع صورهما الوحيدة التي كانت تتوسط إحدى الغرفتين !.. لتثور ثائرتي وأقول: ستبقى صورة أمي يا خالة كما كانت..

وكانت أولى الصدامات التي لم تكن قد أعدت نفسها لها!.

(١١)

وأمام البيت الكبير وأنت في رفقة أبيك تتابع البناء وقد أعدَّ لك مأوى في الدور العلوي تمارس فيه إكمال نصف دينك..

قلتَ له : لقد وجدتُ نصفي الثاني وأريد أن.... قاطعك وقال : لا عليك، أخبر أمك عنها لتقوم بالمطلوب. هكذا يناديها أمامنا: أمكم. وهي لن تكون أمًا لنا، وهو يعلم بذلك ولكن...

قلت : لا حاجة إلى ذلك فهم مستعدون لزيارتنا.. فقد مهدت الطريق.

قال : يوم الجمعة سنَزورهم.

(١٢)

قلت : سيكون زفافنا أسطوريًا.. ستحضر فرقة الفن الشعبي برفقتنا.

قلت : كل حفلة يجب أن أتواجد فيها !..

قالت : لا يجوز أن تحضر وسط النساء.

قلت : لست معنيًا بأحد غير ياسمينتي.. ففي كل حفلة أريدك أميرتي المتوجة ندخل معًا ونجلس معًا.. ونرقص معًا..

وكانت ابتسامة رضى منها وهي ترى فارسها لا يعد جواده بعيدًا عنها..

أما الآن..

ها أنت ترقص رقصة الألم.. تتلوى.. ينقلب كيانك كلما جاءتك تلك الحالة تئن وهي إلى جانبك تمسح عن جبينك حبات العرق.. وتناجيك كطفل.. قل لي بماذا

تشعر.. أنا ياسمينتك.. حبيبتك.. تضغط بأصابعك على راحتيها.. تنتابك حالة من الرجفة التي تضطرها إلى إحضار كل أغطية البيت لتدفئتك.. تلقي بثقلها عليك.. وأنت تئن وهي في حيرة من أمرها.. تغالب نشيجها كي لا يسترق إلى سمعك..

....

انتهت جولتك تلك، وبدأت ترتيبات الزفاف..

أحضر لك ابن عمك خنجرًا وبشتًا وقال : نريدك معرسًا عربيًا تحمل خنجرًا أو سيفًا..

قلت له : لقد أحضر لي أبي بدلة ما رأيك أن ألبسها ليلة العرس ؟.

قال : وكيف سترقص السامري بالبدلة ؟!..

قلت : هكذا.

وأخذت تتمايل بين يديه.. وأنت ترفع السيف إلى الأعلى وهم يتمايلون معك ويدندنون.

ها أنتَ تتمايل أمام ناظريها.. وأنت متوجه لإفراغ ما يملأ جوفك وهي تسندك وأنت تتمايل يمنة ويسرى، ولكن دون أنغامٍ أو طرب.. بل بنداء تردده هي نيابة عنك: يا الله.. يا رب.. وبصوت متهدج.. تغالب غصة علقت منذ أعلن الطبيب حالتك.

(١٣)

تأملتهما !..

هل كان هو في شبابه نزقًا مثلك ؟!..

هل تلك التي تقف إلى جانبه.. حبيبته ؟!..

هل شاركته نزقه قبل الاقتران كما شاركتك ياسمينتك؟.

كنتما تظنان أنكما في خلوة في كل ناحية تجمعكما.. إلا أن نظرات الجميع ترصدكما.. ولكنها تتحاشى أن تشعركما أنها كذلك.. أتعلم لماذا ؟.. لا أعتقد !.. لأنك نزعت ثوب الحياء والعفة وعلمتها كيف تنْزعه هي أيضًا.. ليتها لم تفعل !.. لقد اختطفتها من على مقاعد الدرس.. لم ينضج فكرها.. بالعلم، بل نضج فقط بفعل تجاربك ومغامراتك.. والآن أدركتْ أنها أخطأت كثيرًا!.. فعاد إليها صوابها.. ولكن كانت تقول: حبه أعماني.. مغامراته الكثيرة وخبرته الطويلة في النساء جعلتني أنقاد بين يديه كحمل وديع.. لسانه الطري

بكلمات الحب ولمسات العاشقين كانت تأسرني.. لقد علمني أن أكون له قبل أن أكون كذلك..

قالت : كانت لقاءات تجمعنا معًا في منْزلنا.. والدايا قد أمنا إليه وكأنني حليلته.. حين أُصبت بحمى انقلب كيانه.. لم يقر له قرار.. بات تلك الليلة إلى جانبي.. ولم يمانع أبي وأمي.. قال لوالدتي: نامي يا خالتي قريرة العين فياسمينتي لن يرعاها غيري..

وكانت أول ليلة تجمعنا معًا.. في غرفة موصدة الباب.. كنتُ أئن من الحمى، حتى وصلتُ إلى الهذيان.. وهو يضع كمادات من الماء البارد على جبهتي، ويمرر يديه المثلجتين بعد أن يضعهما في قطع من الثلج على رقبتي.. ويطعمني بقبلة باردة من أنامله الباردة.. كانت رعايته لي قبل أن أكون له.. لم ينم تلك الليلة حتى أذَّن المؤذن لصلاة الفجر.. جاءت والدتي وهي تشكره وتقول له : لم تنم يا بني طوال الليل..

قال : وكيف يغفى لي جفن يا خالة وياسمينتي تعاني من الحمى.. ولكنها الآن أصبحت أفضل حالاً..

قالت أمي : إذًا هيا لأعد لك مكانًا كي ترتاح قليلاً..

قلتَ لها : ليس قبل أن تصحو وتطعمني بابتسامتها العذبة. ابتسمت أمي وقد أدركت حجم حبه لي.. فسمحتْ له أن ينال مني ما يشاء.

هكذا تتدفق عطفًا وحنانًا.. ترعانا نحن إخوتك.. حينما أوصاك والدي قبل سفره.. كنت أصغرهم ترعاني كطفلك المدلل.. لا تخرج من المنْزل مساءً قبل أن توقظني من قيلولة الظهر.. وإذا حدث فإني سأحيل البيت إلى صراخ وعويل.. لذا تجلس إلى جانب السرير.. تمسح بيدك على رأسي وتداعب خدي وتعبث بشعري وأنا أمتنع عن القيام لتزدني دلالاً... كنتُ في التاسعة من العمر لم أذق طعم الحنان من أبي كما ذقته على صدرك.. أنت شلالٌ من العواطف.

وعندما دخلتْ هي في حياتك كنت تمارس الحب معها.. أمام ناظري..

وبعدها أمام ناظري أولادك !..

لا تتوانى عن تقبيلها.. واحتضانها بعد عودتك من عمل.. تلك حليلتي فما المانع !.. دون أن تدرك أنك أيقظت شلالاً من الغريزة المكنونة بين ضلوعهم وظهورهم.. لقد انطلقت الشهوة.. وبدأت البحث باكرًا عن مواطن الإشباع.. وكنتما منشغلان بممارسة الحب أكثر من انشغالكما بتربية الأولاد.. فشبوا وكبروا.. وبدأوا كما بدأت أنت حياتك..

استدعاك مدير مدرسة أحد أولادك وقال لك : إن ولدك بحاجة إلى رعايتك لقد بدا ينضم لشلة لا تليق بمقامك كأسرة.. دون أن يعلم أنك من علمه أن يسير نحو ذلك الطريق..

قلتَ له : وماذا فعل؟

قال : لقد تسلقوا أسوار المدرسة ولاذوا بالفرار.

فأخذت تضحك وأنت تقول للناظر : جميعنا مرَّ بهذه المرحلة يا أستاذ وهذا التصرف لا يعيب الطالب..

قال : سيدي.. الزمن تغير.. ولا ينبغي أن يرافق ابنك من يسير به نحو السوء..

ثم استدعاك ثانية بعد فترة وجيزة وهو يقول لك هذه المرة الثانية ضبطنا ولدك، قال : لقد ضبطناه.. يدخن سيجارة في المرافق مع مجموعة من الشلل الفاسدة والذين يتجاوزونه في العمر والمرحلة..

قال لك : عليك بتوجيهه وإعطائه المزيد من الاهتمام.. فاكتفيت بالشكر وأنت في حيرة من أمرك كيف ستتصرف وتبعده عن تلك الشلة !!..

ولأنكما لا تتقنان أساليب التربية.. اكتفيت بتوبيخه وقلت له : لا أريدك أن تسقط !..

فوعدك أن ينجح.. فكان لك ما أردت.. إلا أنه سقط من سلم الأخلاق.

وفي المرة الثالثة لم يستدعك المدير، بل عدَّه من أولئك الذين تنازل أولياؤهم عن رعايتهم !.

(١٤)

مرَّت أربع ليالٍ في تلك المدينة المقدسة.. ولم يتبق سوى ليلتين بعدها سيحين موعد الرحيل.. والأمل يحلق بتحقيق المراد.. وفي أي رحلة نكون، فالحقائب لا بد لها من التورم حدَّ الانتفاخ.. فالأسواق تضج بالباعة وتعج بالبضاعة فتنساب النقود أمام كل جديد.. أما هي فكانت تستنشق الطيب.. وتبحث عن الحرز.. فتجود يد البائع بأنقاها وأصفاها.. تعلق أمانيها عليه.. ويلفه البائع في قطعة من الكتان الناعم بإتقان.. ويطعمه بالطيب ليودعه الصندوق الذي احتوته بين يديها وقد أبحرت في الصمت وهي تتحسسه بأصابعها وتحتضنه بين راحتيها.. وتخاطبه بصوت خرج عميقًا :أنت أخر أمانينا.. فجدها علينا يا رب..

ولِمَ لا وقد أودعت أمنيتها فيه لتنصاع بإيحاء يأتي من إيمان نابع من وجداها ومعتقد عقلي يتصرف طبقًا لذلك..

أدخنة البخور تتسرب إلى أنفي وإلى أوردتي وظل سؤالاً مكتومًا داخلي، وكأني أدلي برأسي.. وهو يحاذي التراب.. وسخونة غريبة تصاعدت لتشحنني بحزن متزايد.. وعرق يتصبب من خلفي وبرودة تلتصق بأطرافي.. لتعطيني الحياة في تلك اللحظة امتيازًا خاصًا، إلا أنه امتيازٌ مؤلم.. ممزوج بعبير الكافور.. أه ثم أه.. ليتها تدرك.. وهي لا تدرك أهما يدفعان ثمن الطُهر الذي يبغيانه ما بعد الحياة مكرهين قبل أن يدفعاها عند لقاء الجبار كارهين.. فهناك حيث العوالم الهيولية تُدفع الأثمان بأسلوب هيولي..

أقدامها تتورم من السير خلف الباعة.. وأنا أجر أقدامي خلفها لأكون على موعد مع الدوالي.. في عضلتي سيقاني فيزداد لهاثي.. لتلتفت خلفها فتجدني وقد

أسندت ظهري على أحدى أعمدة السوق.. تبسمت لي وهي تقول : أعلم أنكِ مرهقة.. لم يتبق سوى القليل من المكسرات لبكري والسكاكر.. لصغاري.

أحدق بفراغ وأنا أحسب أيامك ونظراتي لا تفارق تورم قدميك.. وفي داخلي لا أجد متسعًا للسكاكر ومتع المكسرات.. أما هي فإنها تجد ذاك المتسع صافيًا متكاملاً يتجسد أمامها في من تحب !.

ستكون الليلة هي الخامسة في الحرم المقدس.. دغدغت أنوار المرقد أجفانك... هاجت أحزانك.. علا نشيجك وصار صراخًا مكتومًا... كانت الابتسامة التي فزنا بها بعد شهورٍ طويلة قد بدأت تخبو رويدًا رويدًا.. وظلت همهمات فقط يحفل بها لسانك.

(١٥)

قالت زوجة أبي لأبي بعد الغداء الذي تشبع به عينيه قبل معدته : أنا بحاجة إلى سيارة !..

قال أبي ضاحكًا : سيارة !!.. وماذا ستفعلين بها وأنتِ لم تتعلمي القيادة ؟!..

قالت : أريد سيارة مع سائق فلدي مشروع أحتاج لإنجازه إلى سيارة وسائق.

قال أبي وهو مترددٌ في المزيد من الأسئلة: وما هو المشروع ؟

قالت وهي تقطب حاجبيها : مشروع خاص بيني وبين ربي هل تريد أن أخبرك عن خصوصياتي مع ربي ؟.

قال مستغربًا : لأول مرة أسمع عن مشروع بين العبد وربه، ولكن كم سيكون رأسمالك؟ وهل سيشاركك ربك بالنصف أم الربع ؟...

قاطعته وهي تقول : لا داعي للتهكم، إن أي عمل خيرٍ نقوم به أليس هو مشروع بيننا وبين الله ؟

قال : بلى..

قالت : فهل ينبغي إخبار أعمالنا الخيرية للبشر ؟

قال وقد أُلقم حجرًا : الأفضل لا.

– إذًا فأحضر السائق والسيارة لتشاركني الأجر دون أسئلة كثيرة.

فكانت السيارة لها بعد بضعة أيام..

أول سيارة اقتنيتَها.. كانت حمراء.. كانت تخيط لها وسائد بتناسق ومفارش بتناغم لتحيل الجلوس فيها مع أنغام الرحباني وصوت فيروز.. "حبيتك في الصيف.. حبيتك في الشتي" إلى جو من الروعة.. والانغماس وأنتَ تقودها بهدوء ساحر متوجهًا بها نحو البحر..

شاطئه يلامس قدميكما برماله الناعمة منذ لحظة النُزول من الحمراء وحتى الوصول إلى حيث تلاحم الماء مع الرمل إلى حيث أقدام الشاطئ تصل أقدامكما.. كانت

لحظات الغروب باسمة تتجلى كما تتجلى معالم الاندماج بينكما فإذا أخفى الغروب ذاك الحسن حينها يخفي الظلام سوء تلك المعالم.. الكائنات في حالة صلاة وتسبيح.. تدعوكما حيث تقام صلاة موحدة إلا أنكما تكتفيان بمراقبة تلك الصلاة.. كما يراقبها الوسواس الخناس.

ها أنت.... ملقىً على سريرك.. ممددًا ساقيك.. مسندًا رأسك على الوسائد تود إقامة الصلاة قائمًا.. إلا أنك.. تقيمها ممددًا.. فهل لمست الفرق؟!..

أواه.. وأنا أعد أيامك.. وأراقب نشيجك.. وهو يتصاعد من صدرك.. المتململ بجراحاتك.. وأبحث لك عن مغتسل بارد وشراب.. يطهرك..

(١٦)

يسألها أخوك.. هل من حاجة تنقصكم؟!..

فتخفي في صدرها حاجتها إليك.. وتداري حرمانها من رَجُلِها الذي علَّمها معنى الأنوثة، فإذا نضجت؛ قرَّر تركها.

يقول تعالى: { لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ } ...

فكيف كان شكركما لها؟..

كانت الولائم التي تقيمها لرفاقك.. وأقداح الشراب وهي تدار على ضيوفك.. واستبدال الطرب الهندي بالطرب الغربي... كانت مأخوذة بكل كيانها بك... كيف لا وقد انتشلتها بعد ثروة أبيك من الفقر والعوز وألبستها الدنيا وما فيها وأدخلتها إلى عالم الغواية ومجالس الأردية المخملية.. والقلائد الماسية.. وإن كنت قد حذرتها من الشراب كما هجرته أنت.. إلا أنك لا

تتوانى عن البحث عن أجوده.. لتقدمه لروادك كي لا يُقال عنك متخلف..

هكذا كان شكرك !..

حين تلبستُ بعقيدتي.. واقتنعتُ بصحة المسار ورفعتُ رايته على رأسي؛ وقفتَ سدًا منيعًا أمام خطواتي تسحبه من رأسي.. تزيحه.. ترفضه، تعتقد إنه يخالف المعتقد الذي تعلمته.. تظن أنه تجاوز المطلوب منا كبشر، إنه من اختصاص أبناء الأنبياء.. والأولياء.. دون أن تدرك أن بقايا الفكر الكنسي قد عشعش في مخيلتك لأنك لم تبحث عن الدين بين بطون الكتب كما بحثت عن اللذة في المجلات الرخيصة.. لقد أخذت دينك من أشباه المتدينين.. كنتَ تمارس وأولادك الدين كطقوس جامدة؛ تقاليد خاوية من أي معنى حقيقي لها.. هكذا علمتهم.. هذا ما كنت تراه أنه تعديل المسار المعوج الذي سرت عليه سني شبابك.. وكيف لك بغير هذا وأنت لا تُحسن قراءة الدين ؟!.

أقعدتْ ساقيها أمام الكرسي المقابل لسريرك وهي تعوذك بالحرز الذي اقتنته اليوم.. مسحت به على جنبات جسدك المنهك.. وأنت تئن أنينًا خفيًا.. ثم ختمت به رأسك لتدسه أسفل وسائدك الثلاثة.. ثم أتت بمبخرها تؤرجحها بحركة دائرية حول جسدك مردده بعض الأذكار... هذا ما أتقنته وجاد عليها علمها البسيط.

أحضرتْ لك طعامًا تلقمك..

كنتَ تستلذ بأطباقها التي تعدها لك، مرة لبنانية وأخرى مغربية وثالثة.. خليجية، وأخرى إيطالية.. تتلهف إلى ما تعده من أصناف الأطعمة.. لتقارنها بما كانت تعده أمك من أطباق محلية بنكهة لم يتقنها أحد سواها؛ في زمن العوز وضيق ذات اليد، لأنها خبرت الحياة فألقمتك خبرتها دون مقابل.. كانت تهاتفك كل صباح وأنت على مقعدك الوثير في شركة والدك تديرها كيف تشاء.. تسألك وتسبق السؤال بكلمة "حبي" !.. ثم تبادر لتقول: هل طبق الغداء تريده محليًا أم عربيًا أم عالميًا ؟

ورغم توفر الطباخين في قصر أبيك إلا أنها كانت تعد لك طعامك بيديها دون أن يُلمس بيد أحدٍ من العاملين..

ما زالت تفعل ما أعتدت منها.. إلا أنه صنف واحد وهو "الشوربة: لأنك لا تستطيع تناول غيره !..

كيف كان شكرك لتلك النعم؟!..

(١٧)

كنتما في الطريق إلى إحدى الفنادق.. للاستحمام.. تسبحان معًا في حمام السباحة الذي يعج باللحم الطري.. والصدور البارزة.. قلت لها : أريدك أن تلبسي هكذا.. ولكنها كانت ترفض. وبعد إلحاحٍ وإلحاح؛ رضختْ للأمر كما أرضختها لغيرها. ألغيتَ كيانها وجعلتها عجينة طيعة بين يديك..

قالت لك : يجب علينا أن نذكر ربنا.

فقلتَ لها ساخرًا : هل ألقت أختي عليك موعظة؟

قالت بوجوم : لا.. ولكنني افتتحت ليلي بحلمٍ أوجعني.. ثم صمتت..

قلتَ : وعمَّ كان حلمك؟

قالت : في وسط ساحة واسعة أجلس على كرسيٍ خشبي.. وحولي تتقافز الخنافس.. مئات.. بل آلاف منها.. إنها ملايين.. أصرخ بصوت مقطوع.. لماذا؟ ماذا

اقترفتُ؟ أقف بقامتي أرفع يداي معلنة تحليقي.. هروبي.. لتتضاعف أحجامها وتصبح كل واحدة كنسرٍ فرد جناحيه.. أصرخ أخرى.. وأسقط لأراك.. تحلق مبتعدًا عني..

قال متهكمًا : لِمَ لمْ تنادي عليَّ؟

قالت : إنه حلم.. هكذا حلمت.

قلتَ : أضغاث أحلام.. هيا لقد وصلنا حمام السباحة.. هيا سأخذك إلى جلسة مساج تنسيك كل سوء.. لتحلمي الليلة أحلامًا بنفسجية ووردية.. يا وردتي.

وعاد الحلم ثانية لتهب من نومها مفزوعة وتوقظك.. نفس حلم البارحة... وبعدها لم تستطع النوم.. ظلت سارحة بعناقيد من الأحلام !.

ها أنت تسهر طوال الليل.. تأن.. برفقة الأرق.. أحلامك أكثر قسوة من أحلامها.. ترعبك.. ترهبك.. تكتفي بالصراخ دون أن تعبر عنها.. لا تستطيع إخبارها

ماذا رأيت.. فمرة ترى أنك وسط النيران.. وأخرى ترى حية لم ترى مثلها من قبل تطاردك.. وعيني سيدة وقور تحاول مسحك من بعيد.. وقد تكورت دموعها تحاول الاقتراب منك.. لكنها لا تستطيع الاقتراب.. فالطيبون لا يقتربون إلا من الطيبين.. فتفرد سجادهٓا لتصلي.. وتصلي لعلها تعينك بصلاهٓا.

سمعتك وأنت تسأل أحد رجال الدين عندما جاء لعيادتك مستفسرًا عن معناها.. فردَّ عليك : لا حول ولا قوة إلا بالله تبْ يا بني مما اقترفتْ يداك في شبابك.. إهٓا رُسُل الرحمة أُرسلتْ إليك لتنقي صحيفة عملك.. عمَّ تتوب وممن تطلب الغفران.. فصحيفتك اسودت.. وغشت على بياض طفولتك.. وبراءتك..

قلتَ له : كيف التوبة يا سيدي.. وهل سيمهلني القدر ؟

قال : الله يكون في عونك يا بني.. لا تيأس، إن تبتَ تاب الله عليك.. ولكن لتكن توبة نصوحة.

ابتلتْ شعيرات لحيتك الناعمة التي مالت إلى البياض.. وأنت تذرف دموع الندم.. بكيت حتى أبكيتَ كل عينٍ نظرت إليك لتسرق بنظرها ملامح لطيفك السابق.. علا نشيجك وابتلت عروقك بدموع عينيك.. وتقرح لسانك، لم تعد قادرًا على الكلام !.

أتذكر.. لحيتك تلك في شبابك والتي كنت تزيل أثارها كل يوم كي لا يكون لشعيرات الفودين من أثر.. وتطيل شعر رأسك فينساب حول رقبتك ناعمًا، لتقف أمام المرآة زمنًا استثنائيًا بعد كل جولة استحمام وفي إحدى يديك مشط ملفوف على نفسه، والأخرى مجفف للشعر.. والناظر إليك يظنك فتاة في أحد صالونات التجميل تبهج الناظرين..

صديقةٌ كانت في زيارتي.. شاهدتْ بعين الدهشة وقفتك تلك أمام المرآة بجانب الحمام المشترك الذي كان يخص جميع أفراد العائلة.. فلم يكن هناك غيره.. فقالت : يا لتلك الورطة !.. لِمَ لا يقصه ويريح نفسه ؟

ثم عقَّبت متندرة : قومي بالمهمة عندما ينام !.

وأخذنا نتسلى بشعرك الذي تخيلناه قد طال لينافس ذات الشعر الذهبي.. في قصة "الحسناء والساحرة".

(١٨)

ها نحن نسابق الزمن معك.. نحملك إلى من لم تسع إليهم وأنت في عافيتك..

برقت الذاكرة، لمحتُ وجه أمي وهي توصيك : إن يسَّر الله عليك ورزقك رزقًا طيبًا فحج نيابة عني.. فيسر الله عليك وعلى والدك.. إلا أنك لم تبتغ الطُهر.. لذا لم تحج.. فكان التسويف بأمور ما أنزل الله بها من تنْزيل.. فكيف ستحج عن أمك.. إلا إنني حججت نيابة عنها، وها أنا ذا أعد نفسي لأحج عنها ثانية هذا العام.

قالت عمتي وهي تسرد على مسامعي قصة جدي لأبي.. كم كان جوادًا.. بابه لا يغلق.. وناره لا تطفئ.. كذاك الذي يضرب به المثل في كرمه.. رحمه الله يحمل أكياسًا من الحنطة برفقة حمال قبل حلول شهر الخير.. يطرق الأبواب بعد العتمة ويقوم بوضعها خلف أبواب البيوت

المعوزة.. وقبل بهجة العيد يعيد الكرة ليضيف إليها مبلغًا من المال لشراء احتياجات العيد للصغار.. ظلَّ صاحب أفضال.. والله يرزقه من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب.

وبابتسامة تنْزلق بيأس على شفتيها أكملت : أين أباكِ من جدك ؟ لقد اختلطت نطفته بنفخة شيطانية سرت عدواها إلى أخيك.. كلاهما لم يسيرا على منوالهما.

ها قد بلغتَ العقد الرابع من العمر.. وقد أظلمتْ نفسك، وقال الشيطان ماسحًا بيده على وجهك : لا خير يُرتجى منك...

ما زالت العمة تسرد.. ولكن هذه المرة على مسامعك..

كنتَ في زيارة إليها تأخذك بأنسها فتحرص على زيارتها كلما رماك الدهر بمحنة، وضاقت بك الأيام.. واليوم أنت في ألم الفقد.. لقد أودى القدر بحياة ابن صديقك.. صديق الليالي المجنونة.. ها أنت في طريقك من مجلس

العزاء.. إلى منْزل العمة.. ستسرد حكايات الماضي لتومض لك الدرب.. هكذا اعتدت..

قالت : لقد رماني الدهر بسهم الفقد. وذقت من ذات الكأس.. وقلتُ حينها: لِمَ يا ربي لم تأخذ من عمري وهبه لولدي.. ما الذي تجنيه من خطف قرة عيني من أحضاني ؟ أعلم إنها أمانات تسترد متى ما شاءت إرادته، فلمَ الاعتراض على ذلك ؟ اللهم لا اعتراض ولكنه ألم الفراق. وانكسرت الضحكة على أعتابه من سني.. ومنذ رحيل مصطفى لم يضحك لي سن.. ولم يخالط شعري صبغ أو حناء.. وها أنا على أعتاب العقد السابع من العمر أرى من كان في سنه قد رزق بذرية فأتبسم وأقول: رزق مقدر ومحفوظ.. نناله في الأخرى كما ناله غيرنا في الدنيا.. { وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى }.

تجر أقدامك.. خارجًا.. بعد أن أودع جثمانه الثرى.. هاربًا من الحق الذي يطارد كافة البشر.. الموت حقٌ علينا لا مفر.. أبدًا هرب من ذكراه ولا ترغب في

حضور الجنائز.. وتكره النظر إلى التوابيت.. فتابوت أمك ما زال مزروعًا بداخلك لم تقدر على التخلص من ألمه.. تحوطك التراتيل والآيات. وأنت.. ما فتئت أمك تزورك دون إخوتك.. تراها في كل مرة وقد أفردت مصلاها رافعة يديها تنظر إليك على بعد.. ثم تختفي في تابوتها !.. ذاك التابوت الذي يكشف عن وجوه الأموات.. وقد كشف عن وجه ابن صاحبك قبل سويعات.. وبعرق بارد اغتسلت.. شعرت بضياع آخر وتجدد حزنك.. على صاحبك وهو يمنع الدفان من إهالة التراب على كبده..

ها هو صاحبك جاء لعيادتك.. كنت تنتظر مجيئه كي يواسيك بنفسك كما كنت تواسيه بكبده.. حاول أن ينتزع الأحزان الكثيفة التي تغرقك.. ونزع هو ثوب الهلع.. ليدفن مشاعره ويلبسك ثوب الأمان.. فقد أتقن ذلك رغمًا عنه.. فالدهر علّمه أنه يعطي أكثر مما يأخذ.. إلا أنه يأخذ أخذًا أليما.

تتذكر حينما كنت تنام على سطح الدار وتختلس النظر إلى العورات... يرتفع صوت الآيات من مذياع جاركم.. وما زلت تمعن النظر في ما حرم { مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ }.. أي سقر ؟.. ولماذا سقر ؟.. لم تفهم معناها حينه وأنت تمارس الفجور لتشبع شهوتك المجنونة.. فإذا دغدغ النور أجفانك تقوم وقد امتزج فراشك بسوءة ليلتك تفوح منه رائحة الضياع !..

وها هي الآية وكأنك على موعد معها { مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ } يتلوها قارئ حسن الصوت على مقربة منك وأنت تناجي بكل حرف سويعاتك القادمة، أغمضت عينيك، الآن تدرك معناها.. وكان الصمت يغلف الأشياء بهيبة.

(١٩)

في صباح لم يشبهه أي صباح.. وقد أعدت لك حقيبتك لترافق والدك في رحلة عمل على متن الباخرة ستغيبان فترة طويلة.. أحدق أنا بفراغ السماء، وقد تسربت رائحة الكافور إلى أنفي.. استعذتُ بالله من الشيطان، ودسست صدقة بيد فقير عجوز فخرج صوته عميقًا بدعاء لعله يسري إلى عنان السماء..

غادرتْ الباخرة وهي تطلق صافرها كصوت بوق يوقظ الأموات من قبورهم.. وظلت هي تغالب دموعها.. سحبتُها من معصمها، ظلت قدماها تحفران برمل الشاطئ وكأها ستجعل من ذاها تمثالاً ينتصب في مكانه لحين رجوعك..

عند باب الدار التقيت بـــ"سودة"، ودون أن ننطق افترقنا وغابت عن ناظري في سيارها يقودها سائق كهل

قد أبيض شعر رأسه.. دخان سجائره ينفثه خارجًا إلا أنه لا يفارق صدره وكلما انتابته نوبة سعال تقول له: ستموت حتمًا بهذا الدخان إنه يحرق نقودك ويدمر شرايينك، تخلص منها أيها العجوز.

وهو يتبسم عن أسنانٍ اصفرت وتآكلت من أثر الدخان..

ارتفعت السيارة إلى طريق جبلي متعرج وبعد قطعها لمسافة كيلومترين فقط كانت وسط حي قد رسمت معالمها أعشاشًا من العريش أو بيوتًا من الصفيح.. ما كان يخطر ببال بشرٍ أن هناك حيًا بأكمله.. وقبل أن تنْزل من السيارة كانت قد أحيطت بأطفال نصف عراة يمارسون طفولتهم وسط الحي الذي لا يفرق بين طفل وقمامة وبقايا مياه آسنة.. تحط الطيور على حبال نصبت أمام تلك العشش لنشر الملابس لتكون مخلفاتها جزءًا من تراب الحي يلتصق بأقدام أطفالها الحفاة لتتشكل طفولتهم من بؤس حيهم، وكأن البؤس قدر هؤلاء، نزل

السائق العجوز وأبعد تلك الكومة من الأطفال عن الباب ليفسح الطريق لسيدته كي تفتحه وتنْزل متوجهة إلى بيت يبرز من بين العشش كبيت أسمنتي وحيد لتلج إليه، والسائق العجوز يحمل خلفها أكياس الطحين والحنطة والشعير.. وهم ببراءهم يهتفون باسمها إعلانًا عن وصولها وفرحًا بما سيملأ جوفهم - الخاوي منذ أيام - من الطعام..

تدخل الدار.. ويغلق العجوز الباب خلفه استعدادًا لتلقي أوامرها وبعدها يعود ليقف أمام المدخل لتدخل النساء واحدة تلو أخرى لتحمل نصيبها من المئونة الشهرية التي تجود بها هذه السيدة عليهم مطلع كل شهر.. فتحيل ابتسامتهم البائسة التي تنْزلق على شفاههن إلى ابتسامة شكر ورضى..

تلك هي سودة زوجة أبيك التي لم تأنسي بأخذها مكانة أمك، إلا أنها كانت تأتي إلي وتخبرني ما تقوم به.

قالت عمتي حين عاتبتها على خروجها مع السائق للأحياء المهجورة بعد مرور فترة عدهًا على وفاة زوجها..

إنه أبي الذي شممت رائحة كافوره قبل إطلاق الباخرة أولى أبواقها إعلانًا عن انطلاقها.. لقد رحل عنا أبي وبقي قبره بين ركام الباخرة المتصدعة كغيره من الغرقى.. وكلما يممت وجهي تجاه البحر أتلو على روحه الفاتحة.. وكنتَ أنت من الناجين القلة.. ليقام في قصرنا مأتم وحفل في آنٍ واحد !.. فكانت تلك الأحداث منعطف التغير لكثيرٍ من الناس.. ولم تكن منهم !.

في تلك الليلة وقبل أن تحين ساعة.. كنت ممددًا على فراشك والليل يبتلع الضجيج والقمر في سفر الاكتمال نباح قريب وعواءٌ بعيد يجرح السكون وألمك يتصاعد كدخان يتبعه عويل، كنت أزحف بناظري نحوك وكأني أنزل بدرجات حجرية نحو قبو يختفي منه النور كلما ابتلعني الظلام، أسمع خطواتي.. لا إنها ليست خطواتي إنها

خطوات تزحف وتزحف وهي قادمة من بعيد والباب يئز خلف تلك الخطوات والظلام استولى على الوجود مستغرقة أنا بوجعك الذي صار يتفاقم أرتل القرآن وقد تكفنت الغرفة بأكملها بأردية بيضاء.. رغم البياض كان السكون يشعلني رهبة استنشق الخوف مضاعفًا، وبأطراف باردة وأسنانٍ تصطك كنت أزحف ويزداد خوفي وخاطرة فاجأتني: هل حانت النهاية ؟!.. تسللت بنظراتي نحوها وهي تكور نفسها على كرسيٍ يلتصق بسريرك وقد غادرتها الابتسامة في إغفاءة صفراء وهي تحتوي يدك، كنتَ مستلقيًا بهدوء تعلو وجهك بشاشة تحوطك أقمشة خضراء عن يمينك وشمالك وصوت المؤذن يخترق بإصرار: الله أكبر.. شعرت بسخونة غريبة وبدأ صدري يعزف سيمفونية الحقيقة الحادة بعذوبة خاصة، وأنا أتأملكما بخشوع الآيات حين أدركت أنكما أصبحتما على الضفة الأخرى من العالم.

❖ ❖ ❖

تمت بحمد الله

في ٢٠١٢/٥/١٥

في نيويورك

فاطمة شعبان

المؤلفة في سطور

- البطاقة الشخصية :-

الاسم : فاطمة محمد شعبان آل صالح

تاريخ الميلاد : ١٩٦٥/١١/٦

- المؤهل العلمي :-

١- ماجستير إعلام أسري

Golden State University أمريكا ٢٠١٢م.

٢- بكالوريوس علم النفس

Central Warrington University أمريكا ١٩٩٥م

٣- دبلوم صحافة وإعلام - معهد الأكاديمية الدولية للإعلام - الكويت ٢٠٠٩م

٤- دراسات في الثقافة الشرعية - دولة الكويت ٢٠٠٣م

٥- دبلوم تربية - الكلية المتوسطة - مسقط ١٩٨٨ م

٦- دبلوم الدراسات التاريخية - الجامعة الأردنية ١٩٨٧م

■ الخبرات العملية :-

١- كاتبة مقالة في جريدة الأنباء الكويتية منذ ٢٠٠٨م

٢- رئيسة تحرير مجلة كنوز الإلكترونية للأطفال منذ ٢٠٠٨م

٣- معلمة ومشرفة رياض الأطفال منذ ١٩٩٠م

٤- كاتبة صحفية في العديد من الصحف المحلية والعربية منذ ١٩٨٥م

٥- عضو رابطة الأدباء - دولة الكويت.

٦- عضو جمعية الصحافيين الكويتية - الكويت

٧- عضو منتدى الأمهات - مجلة العصر - الكويت

٨- مؤسسة فرقة المشاعل للعروض المسرحة.

٩- مؤسسة صالون المروج الأدبي للفتيات.

١٠- مؤسسة نادي Smile

١١- كاتبة ومخرجة العديد من المسرحيات الهادفة ومسرح الطفل.

١٢- ناشطة اجتماعية وباحثة في شؤون المرأة والطفل.

١٣- حاصلة على العديد من الدورات منذ عام ١٩٩٠ وحتى الآن ، من أشهرها:

- مدرب معتمد وممارس معتمد في NLP من البورد الأمريكي - ريتشارد باندلر
- فن الإبداع - د. طارق السويدان.
- قانون الجذب - د. صلاح الراشد.
- الثقة بالنفس - د.إبراهيم الفقي.
- معدة ومدربة ومقدمة للعديد من الدورات وورش العمل في المدارس الابتدائية والمتوسطة والجمعيات العامة.
- معدة ومقدمة دورة "على أبواب الحب" للمقبلين على الزواج.

▪ المؤتمرات والندوات المشاركة فيها :-

١- مؤتمر المرأة وعصر التحولات - مدينة الدمام - السعودية.

٢- المنتدى الإعلامي الثاني - دولة الكويت.

٣- المؤتمر التربوي لرياض الأطفال - الكويت.

٤- ندوة الكتابة للطفل - مجلة العربي - الكويت .

٥- مؤتمر الوقف - وزارة الأوقاف - الكويت.

٦- مؤتمر القدس - حركة التوافق - الكويت.

٧- ندوة المجلات الثقافية - مجلة العربي - الكويت.

٨- ورشة كتابة القصة القصيرة - الروائي يوسف القعيد.

▪ المؤلفات :-

- على أبواب الحب : مقالات قصصية
- الحُلم الأسير : رواية - طبعتين
- طارق الندم : مجموعة قصصية - طبعتين
- موعد مع القدر : مجموعة قصصية - طبعتين.

- قصص الأطفال : -

- سلسلة كنوز الأجيال (٦ قصص) :

١- اليد البيضاء أم الدراجة.

٢- ماذا سيحدث في الغد.

٣- مرارة الحقيبة.

٤- القارئ الثالث.

٥- شموع لا تشتعل.

٦- الخزانة العجيبة.

٧- الفتيات الخمس.

٨- دانه ونجمة المساء.

٩- أمنية مها.

- إصدارات صوتية :-

- أنت مبدع !
- نجوم كربلاء
- نداء الهناء: رسوم متحركة.

- الموقع الإلكتروني: www.fatmashaaban.com
- البريد الإلكتروني: fatimams_65@hotmail.com

شمس للنشر والإعلام

رؤية جديدة في عالم النشر

في مسعى جاد لتقديم رؤية جديدة تسهم في تصحيح العديد من المسارات في مجال النشر، تأسست "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" كخطوة على طريق إرساء أسس مشروع ثقافي متكامل يهدف إلى نشر الإبداع العربي في كافة التخصصات، وإثراء صناعة النشر، وتقديم إضافة حقيقية إلى مسيرة الكتاب العربي، وفق رؤى متوازنة تجمع ما بين طبيعة عملها كمؤسسة تجارية تتطلع إلى تحقيق الربح والانتشار، وبين تحقيق رسالتها الثقافية.

وتهدف المؤسسة إلى تحقيق عدد من الغايات، تتمثل في:

- إتاحة الثقافة الرفيعة للقارئ، وتلبية حاجاته من المعرفة.
- تفعيل حركة النشر، خاصة لشباب المؤلفين، ورعاية وتشجيع المبدعين، ودعم قدراتهم الفكرية والأدبية، والعمل على إبرازها.
- الإسهام الفعال في نشر الإبداع العربي، من خلال سياسات ترويج وتوزيع تتلاءم ومقتضيات العصر.
- حماية الحقوق الفكرية والمادية للكتّاب، وإعادة صياغة أسس التعامل مع المؤلفين وفق قواعد أكثر إنصافاً.

- التعريف بالكاتب والكتاب إعلامياً وجماهيرياً، ومد جسور التواصل بين المبدع والمتلقي.
- الوصول بالإبداع العربي إلى القارئ غير العربي، من خلال ترجمة الإصدارات العربية المتميزة إلى لغات مختلفة، والعمل على خلق آفاق عالمية لنشرها بالتعاون مع دور نشر احترافية.
- إثراء الحياة الثقافية بالأنشطة والندوات والفعاليات، من خلال رؤى تنظيمية وترويجية تضمن نجاحها والمشاركة الفاعلة فيها.
- توثيق الصلات بين دور النشر المحلية والعربية والدولية، وكذلك بين الكُتَّاب والمثقفين العرب، والتواصل الفاعل مع كافة المهتمين، وفق صيغ تعاون إيجابية.

ويرتكز عمل المؤسسة على منهاج "احترام الكاتب والكتاب" مادياً وأدبياً ومعنوياً، وفق عدة معايير تقوم على الالتزام التام بأخلاقيات مهنة النشر. وتسعى لتقديم رؤية جديدة لصناعة الكتاب تشمل الدقة في انتقاء المحتوى، والجودة في إخراجه وتصميمه وتنفيذه وطباعته، والاهتمام بنشره وترويجه إعلامياً ودعائياً، بما يضمن له مكاناً بارزاً في مكتبة القارئ.

شمس للنشر والإعلام
www.shams-group.net
(+2) 02 27270004 / (+2) 01288890065